الملك خالد بن عبدالعزيز

١٣٣١- ١٤٠٢هـ/ ١٩١٣ - ١٩٨٢م

نشأته وسيرته قبل توليه الحكم

د. محمد بن سعد الشويعر
مستشار سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية

هو في النسب: خالد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن من بني حنيفة.

أما التسلسل في عقب الملك عبدالعزيز (رحمه الله) فهو الخامس في الترتيب.

وأما ترتيبه بين الملوك الذين ارتقوا سدّة الملك، في الدور الثالث من أدوار الدولة السعودية الذي بدأ بالمؤسس الباني لهذا الكيان الملك عبدالعزيز، ثم أبناؤه الملك سعود، ثم الملك فيصل، ثم الملك خالد، فهو الثالث.

فقد تولى الأمير خالد المُلكَ بعد ساعة من وفاة الملك فيصل، حسبما صرحت به إذاعة الرياض في يوم الثلاثاء الموافق ١٣ ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ، الموافق ٢٥ مارس ١٩٧٥م.

نشأ الملك خالد مع مسيرة الملك المؤسس الباني للكيان الحديث للبلاد والده الملك عبدالعزيز (رحمه الله)، لتجميع شمل الأمة، والقضاء على الفرقة، والنزعات المختلفة، وشارك والده في كثير من المواقف التي صقلت مواهبه، ونمّتْ كثيرًا في شخصيته، وعاداته وأخلاقه، وتدينه فكبرت مع عقله وجسمه صفات غرسها الملك عبدالعزيز فيه، وفي البقية من بنيه: قولاً باللسان، وقدوة في العمل، واقتداء بمواقف من سلف من آل سعود، وإفادة مما مرّ بهم من مواقف، فكان واحدًا من أوائل التلاميذ الذين تعلّموا من مدرسة الملك عبدالعزيز (رحمه الله)، الذي بدأ مسيرته باستيلائه على الرياض صبيحة يوم الخميس الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م.

فقد قال عبدالرحمن الرويشد في كتابه قصر الحكم في الرياض: إن الملك خالد بن عبدالعزيز، ولد وعاش في هذا القصر، وكذلك شقيقه الأكبر سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز، الذي تنازل عن ولاية العهد، ثم عن الملك لأخيه الشقيق سمو الأمير خالد(١).

فنشأ ذكيًا فطنًا في بيت دين ومحافظة، سريع الإدراك للمهمة، التي قام بها والده لاسترداد الحكم الذي سُلِبَ من بيتهم العريق.

---

(١) عبدالرحمن الرويشد، قصر الحكم في الرياض: أصالة الماضي وروعة الحاضر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٩٨.

ولا شك أن الجوّ الذي نشأ فيه منذ تفتح ذهنه، من جميع الجوانب المحيطة به، وسّع أفقه في إدراك المهمة الكبيرة، التي تعتمل في ذهنه، منها السنوات الست أو السبع الأولى التي فتحت ذهنه، من مدرسة أحاطته بالحنان، ونمّتْ مواهبه بالمواقف التي تعبر عن الشهامة والكرم والفروسية: إنها أمه الجوهرة بنت مساعد بن جلوي، المعروفة بذكائها وسعة معارفها، وفطنتها بشهادة الملك عبدالعزيز، والتي احتلت من نفسه مكانة عالية، وطالما فرّجت عنه ما يمر به من أحوال بالتسلية، لحفظها الأشعار وحوادث التاريخ، فحزن عليها كثيرًا عندما ماتت عام ١٣٣٧هـ، كما سيمر عنها.

إن هذه السيدة بما عرف عنها من ذكاء وفطنة وثقافة، لا بدّ أن تترك بصمات نيّرة في ذهن ابنها خالد، إذ لا شكّ أن هناك صفات كامنة واستعدادات ذات بال، يجعلها الله في بعض البشر تخيّلاً وفطنة، ويحرك هذا تطلعًا وهمة، إنه الشعور بالدور المطلوب، وتبرز مداخل هذا الدور عندما تتمكن المهمة من ذهن صاحبها، ليبدأ في استثمار ذلك فيما يمرّ عليه: تجربة وعملاً، وذلك بحسب البيئة التي نشأ فيها، والمحيط المنمّي لتلك الخصال، وما يكتنف ذلك المحيط، من تنشيط وحماسة؛ لأن التربة خصبة، والأحداث التي تدور في المجتمع تعين.

وسمو الأمير الشّابّ خالد، في مقتبل عمره، قد حرص على أن يترسم خُطى والده: قدوة به وتأسيًا بأعماله ونظرته إلى الأمور، وإفادة مما يدور في مجالسه، وحماسة للأداء

عندما يتم تأصيل ما يسمع عن مواقفه وانتصاراته، ليطبق ذلك عملاً، عندما تناط به الأمور.

وكل ما سوف نورده مختصرًا، ومشارًا إلى مواقعه في المصادر فإنما هي عناصر في بناء شخصية سمو الأمير خالد لتهيئته للمنزلة الكبرى، بعدما يعتلي سُدّة الحكم، ولتقيّده في تدبير أمور الدولة، وتحمّل المسؤولية، والعطف على الرعية.

لقد حرص الملك عبدالعزيز، على رعاية أولاده بالنصح، والوصايا المفيدة، ومنهم سمو الأمير خالد، حيث نصحه في مستهل شبابه، وبين له ما يحب السير فيه. وفق تجربته ومعرفته بدقائق الأمور، وما استفاده هو من والده الإمام عبدالرحمن، المعروف بسداد الرأي، والحكمة في تسيير الأمور ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤].

كما هيأ الله لسمو الأمير خالد (الملك) أمًا - كما أسلفنا - ذات عقل ودين هي: الجوهرة بنت مساعد، شقيقة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، قرينه في المسيرة، التي احتلت مركزًا متميزًا من نفس الملك عبدالعزيز، إذ قال عنها إنطوان زيشكا، في كتابه: (ابن سعود ملك الجزيرة العربية)، كلامًا جيدًا في مكانتها وثقافتها، ومن ذلك قوله: ومتى عاد عبدالعزيز إلى قصره من معركة أو مفاوضة، حدّثته حديثًا شائقًا ممتعًا، ترتاح إليه نفسه، وروت له من محفوظاتها الشّعرية ما يطربه ويسعده، فأحبها حبًا فوق الحب، وأصبحت صفيته ومستشارته المفضلة، وموضع سره؛ لذا كان أثرها في حياته عظيمًا جدًا.

لقد كانت شاعرة وراوية للأشعار، وتحسن الكلام، ولها شخصيتها، وتقول رأيها بصراحة، وقد أنجبت له ولدين وبنتًا: هما سمو الأمير محمد، وسمو الأميرة العنود، والملك خالد، وتوفيت عام ١٣٣٧هـ، الموافق لعام ١٩١٨م (رحمها الله) فحزن عليها الملك عبدالعزيز(٢)، وفي منطقة نجد تعرف تلك السنة التي ماتت فيها بسنة الرحمة التي مات فيها كثيرون، ومنهم الأمير تركي أكبر أولاد الملك عبدالعزيز (رحمه الله).

فقد تركت أثرًا في ابنها سمو الأمير خالد، التي حرصت على تنشئته، وتربيته تربية صالحة، ليكون في مستوى المسؤولية والرجولة: دينًا وخلقًا.

وقد حرص الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على تربية ولده خالد تربية تليق به، ليكون في مستوى المسؤولية والرجولة دينًا وخلقًا، وفروسية وأدبًا.

كما حرص الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على تربية أبنائه كلهم تربية دينية، ومتابعتهم في أداء الشعائر الدينية، وحثّهم على مكارم الأخلاق، والتأدب بالآداب الحسنة، من كرم وحسن خلق وهمة في الخير عالية، والتأدب بآداب الإسلام، في الحديث والأعمال والصدق، وفي التعامل مع من هو أكبر

---

(٢) عن والدته الأميرة الجوهرة، تراجع المجلة العربية، السنة الثانية، العدد ٣، ١٣٩٧هـ، ص٤. قال عنها منير العجلاني: أحب نساء الملك إليه، وأعظمهن أثرًا في حياته، وكانت شقيقته الأميرة نورة تحبّها كثيرًا، وقد أثنى الكاتب على سيرتها وذكائها ومواقفها كثيرًا.

سنًا، واحترام العلماء، وإنزال الناس منازلهم، ومعاملة من تحت يده، برفق ولطف، وعدم الاستعلاء على أحد، فلقيت أذنًا صاغية من الأمير خالد، وقلبًا متفتحًا يعي كل ما يوجه إليه.

وهذا كان مما امتثله سمو الأمير خالد (الملك) في تعامله مع كلّ أبنائه: أن يثيب المحسن والمواظب على شعائر دينه، ويعاقب المقصر.

ومن عمله هذا فقد حرص كل فرد منهم، بعدما نما عوده، وتأهّل أن يبني مسجدًا بجوار بيته، وأن يطبّق تلك السجايا في تعامله مع الآخرين.

وهذا ما عُرف عن الأمير خالد قبل تولي الملك، فقد بنى عدّة مساجد، منها المسجد المجاور لبيته في وسط مدينة الرياض (حوطة خالد)، وتعرف الآن باسم حارة الحوطة، ومسجد الحوطة، دون الإضافة إليه، ولعل هذا من تواضعه حيث لا يحب أن يشهر اسمه، لأن أحبّ العمل إلى الله ما كان خفيًا، ومنه ما كان يجود به على العاملين معه وغيرهم بتواضع وخفية.

وعندما أنشأ مزرعته في أمّ الحمام، شمال الرياض القديمة كان المسجد أول ما برز فيها، وتعددت المساجد بجوار بيته بعدما تولى الملك في المعذر وغيره، وفي أثناء ولايته العهد.

وقد تحدث كل من عمل مع سموه في أسفاره أو زراعته وغيرها، عن خصاله الحميدة وتواضعه، ورأفته بالعاملين من

حاشيته، وإكرامهم، وقد نمت هذه الروح: قدوة وعملاً في عقبه وأهل بيته، رجالاً ونساء من أثر التنشئة الجيدة.

كما كبرت خصال الخير عند الأمير خالد، من مدرسة والده الملك عبدالعزيز، الذي حثّهم على التحلي بفضائل الأعمال، كالكرم والفروسية، والعفو عند المقدرة، والتواضع وحضَّهم على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى المحتاجين وتفقد أحوالهم، ورغّبهم في محاسن الأعمال: فكان مقصدًا لمن مرّت به معضلة، أو انتابته أزمة، ليجدوا عنده ما يعينهم فيما أرادوه، فلا يعدم قاصده، من نفحة وفائدة، مما أوجد له ذكرًا حسنًا.

ولم يغفل عن مقارنة الفروسية، بتنمية القدرة على الرماية، لتكون ذخيرة ورجولة، لا سيما وأن الملك خالد (سمو الأمير) قد شارك والده في شبابه، في بعض المعارك: كحصار جدة في الرغامة عام ١٣٤٣هـ، ودخول المدينة مع أخيه محمد عام ١٣٤٥هـ، وفي غيرهما.. وما ذلك إلا أن ملامح شخصيته قد برزت، ورجولته المبكرة قد نمت، كما كان مع والده في حصار حائل، ونحو ذلك من المواقف والحوادث المهمة في تأسيس الدولة.

لقد تعددت الصفات والأخلاق والعادات، في أعمال الأمير خالد (الملك) التي حرص الملك عبدالعزيز (رحمه الله) أن ينمّيها في أبنائه؛ لأنه يعدّهم لمهمات كبيرة: في بناء الدولة الفتية، وما يحبّ أن يكونوا عليه: قدوة حسنة، وبعدًا عمّا يقدح في السمعة، أو يسيء إلى العمل المتوقع إناطته بهم،

فهو ينشد في أعمالهم، ما يجب أن تتمثل به القدوة، لما يتمناه، ويسعى إليه من كمال الصفات الحميدة، منذ نعومة أظفارهم؛ لأنّ من شبّ على شيء شاب عليه، والملك خالد (رحمه الله) واحد من كبار أبناء الملك عبدالعزيز الذين كان يعلّق عليهم آمالاً كبيرة، فأخذ تلك الآداب من والده، قولاً ونموذج عمل من فعله بالاقتداء، إذ طالما قال شيوخ القبائل إذا رأوا بعض أولاده في مجلسه: جعلك أخير من أبيك، فيرد عليهم الملك عبدالعزيز: الله يجعل فيهم خيرًا وبركة، ونفعًا للإسلام والمسلمين، ثم يتمثل في هذا المنهج التعليمي بقول الشاعر العربي:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا
على ما كان (علّمه) أبوه

وبعضهم يقوّم الشطر الثاني (عجز البيت) هكذا:

(على ما كان "عوّده" أبوه)

لأن الأب ذا المكانة يهتم بظهور ما نمّا من خصال حميدة في أولاده، ليشعر ببروز النجابة فيهم، وأنهم سيحملون عنه ذكره، بأمانة وإخلاص، ويرعون المكاسب التي حققها - بعد عون الله - بجهده وكفاحه، ليمتدّ الجهد في أبنائه واحدًا بعد آخر.

وقد أقر الله عينه بذلك، ضمن المواقف التي شاركوه فيها، ومن ثمّ بانت للمتابعين، في أعمال أولاده، في الثبات على النهج والهمم التي غرسها المؤسس الباني.

لقد كان عند الملك عبدالعزيز بعد نظر إلى الأمور واستشراف لها، يتجلى ذلك فيما جاء عند أحمد الدعجاني، في كتابه عن الملك خالد (رحمه الله)، فقد يعطيهم حصصًا من التعليمات والتوجيهات، فرادى أو جماعات، لينظر أثر ذلك في نفوسهم، ومدى الاستجابة، ولا يكثر، بل يعاود الأمر بين حين وآخر، مع تتبعه للتأثير عندهم، وهذا نموذج ما أورده أحمد الدعجاني في كتابه عن الملك خالد (رحمه الله)، فقد بعث لأولاده الأربعة الكبار وهم: سعود، وفيصل، ومحمد، وخالد رسالة بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر ١٣٤٩هـ، يوصيهم بمثل ما يوصي عظماء الرجال العرب أولادهم، كوصية المهلب بن أبي صفرة لأولاده المشهورة، فيقول في تلك الرسالة التي تمثّل درسًا في التربية الحسنة:

"من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، إلى الأبناء: سعود، وفيصل، ومحمد، وخالد، سلمهم الله تعالى: بعد ذلك: أربعة أمور سأذكرها لكم أدناه: وهي:

أولاً: تكونون يدًا واحدة، فيما بينكم: صغيركم يوقر كبيركم، ويمثّل أمره، وكبيركم يعطف على صغيركم، كما أن الصغير إذا رأى أمرًا ما يجوز من الكبير أن يبيّن له ذلك، ويقول: الأمر هذا لا يجوز منك، وعلى الكبير الإصغاء لأخيه الصغير، كما هو لازم عليه مناصحة أخيه الصغير.

ثانيًا: إن كلّ شيء آمر به، أو تدبير أدبره، تنفذوه ولا تعرّضوه، أو تعارضوا من وكّلت إليه أمره.

ثالثًا: كل ما سألتكم عنه، أو لزم لكم تصدّقوني فيه، بأي حال يكون.

رابعًا: ألا تعترضوا أمور ماليّتي، لا إلى قريبها ولا بعيدها، في قليل ولا كثير.

هذه أمور أربعة افهموها، واحرصوا على تنفيذ موجبها، وكلّ شيء يصير منكم مخالفًا لشيء منها، اجزموا أنه سيكون سببًا لسخطي عليكم، وليكن ذلك معلومًا.

٢٠ ربيع الآخر ١٣٤٩هـ".

هذه الأمور في صرامتها من الملك عبدالعزيز (رحمه الله)، في توجيهه وتربيته لأمور يريدها من أولاده، كانت قاعدة راسخة عند الملك خالد، التي تلقّاها وعمره (١٨) عامًا تأدبًا مع والده، ونبراسًا في كل عمل يتراءى، ورسخت في ذاكرته، في كل أمر يعنّ له، بل صقلت مواهبه، في القالب الذي يريده والده منه.

ولذلك كان الردّ عليها سريعًا ومطمئنًا بالراحة والاستجابة، فكانت إجابتهم سريعة، ووعدًا بالتقيّد، ومطمئنة لوالدهم بالامتثال.

وهذا نصّ جوابهم بما فيه من أدب واستجابة: "بسم الله الرحمن الرحيم: بعد لَثْم أياديكم الشريفة، كل ما ذكره جلالتكم أعلاه عن الأمور الأربعة فهمها مملوكينكم، وإن شاء الله نعمل حسب ما جاء بها، وترون ما يسركم ويرضيكم، بحول الله وقوته.

مملوككم الابن	مملوككم الابن	مملوككم الابن	مملوككم الابن
فيصل	محمد	خالد	سعود

٢٠ ربيع الآخر ١٣٤٩هـ"(٣).

فكان الملك خالد (رحمه الله)، في مبدأ حياته، يأخذ عن والده كإخوته، دروسًا متتالية، ليطبّق مضمونها عملاً، ضمن اهتمامه بتنشئتهم على منهج سليم، تستقيم به أحوالهم، وينقلونه بعد ذلك في أبنائهم: قدوة وعملاً، وينعكس على المجتمع أثرًا متوارثًا.

فالأب - كما هي عادة النابهين من الآباء - يلاحظ كل فرد من أبنائه، منذ بداية النشأة، فيشرف على النمّو الجسماني والعقلي، ويسبر أغوارهم، ويهتم بآراء الآخرين في ابنه من ذوي المكانة والفراسة، ويستطلع رأيهم في كل ابن من أبنائه، ومن ثّم يركزّ على النبيه، ليكل إليه ما يصقل مواهبه، لما يعدّه له، فإن بادره لما يريد تهيئته له، ولم يعجبه تصرفه فيها، نصحه برفق وبيّن له، حتى يُعده للمهمة التي يؤمله لها، وهذا

---

(٣) أحمد الدعجاني، الملك خالد بن عبدالعزيز، سيرة ملك، ونهضة مملكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٥-٣٧، وهذا هو النّص، وفيه صورة الرسالة وجوابها بخطّ اليد.

ما حظي به سمو الأمير خالد (الملك). وما مرّ به من المشاركات التي وكلها والده إليه، ما هي إلاّ نموذج كشفها الملك عبدالعزيز في ابنه خالد، وأدركها الملك فيصل في ترشيحه لولاية العهد.

وعن ما يجب أن يَرّسخ في ذهن الابن خالد، كان الملك عبدالعزيز يؤصّل فيه عمليًا، مثلما كان يعمل مع كلّ واحد من أبنائه: الاهتمام بالأمور الدينية، وخاصة الصّلاة التي يتفقدهم فيها كل وقت، ولا سيما صلاة الفجر، ويعاقب من يتخلّف أولاً بالتّقريع، فإن تكرر سجنه في مكان بالقصر وحده، ليشعره بأهمية الصلاة، والمحافظة عليها جماعة، حيث جاء في مقابلة مع أحدهم في إحدى الصحف، بأن الملك عبدالعزيز افتقده في صلاة الفجر فعاتبه ثم أمر بإدخاله في حجرة منفردًا، وعهد لأحد الخدم ألا يخرجه إلا مع أذان الظهر، ثم مراقبته فيما بعد فينظر في مواظبته على الصلاة وحضورها جماعة بعد ذلك، حتى إذا كبروا جعل كل واحد منهم بجوار مسكنه بيتًا لله (مسجدًا). وقد أخبرني والدي (رحمه الله) بأنّه أول ما انتقل بالأسرة للرياض، سكن في حي حوطة خالد، ما بين شارع الظهيرة، غربًا وشارع الوزير شرقًا، بقرب مسجد الأمير خالد - آنذاك - في عام ١٣٧١هـ، فكان الأمير خالد، من أوائل مرتادي هذا المسجد في كل وقت إذا كان حاضرًا، ويحثّ بل يتفقد حاشيته، وأهل بيته، بالمواظبة على شعائر الإسلام، ويعمل كوالده على تتبع من يتهاون بهذه الشعيره، ويعاقب عليها؛ لأنه نشأ على منهج

ديني، وحبّ للعبادة وخاصة الصلاة، التي يشدّد والده (رحمه الله) على المحافظة عليها جماعة، ثم يليها مكارم الأخلاق، وحُسْن السمعة.

ولذا عُرف عنه حبّه لإعمار المساجد، والاهتمام بشعائر الإسلام صلاة وعبادة، وصدقات وإعانة على فعل الخيرات، ونشأ معه ذلك الإحساس طوال عمره (رحمه الله) حضرًا وسفرًا.

ومع كونه أبًا عطوفًا لأبنائه ذكورًا وإناثًا، فإن هذه الخصلة فيه، كانت سجية ثابتة، بانت في سيرة حياته، امتدادًا مع أحفاده وأسباطه، يحنو عليهم، ويعطيهم من التوجيه والرعاية ما ينفعهم: قدوة وعملاً بعدما يكبرون، ويقسو على من يتهاون في حق هذا الركن العظيم، ويعاقب بلطف وأدب، يبين مثل هذا فيما برز في الصّور، حانيًا على الصغار والصغيرات منهم، وما يلقيه من توجيه ومتابعة، لمن كبُر سنه من أولئك الصغار؛ لأن العلم في الصغر كالنقش في الحجر(٤).

ومثلما بانت تأثيرات الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في الملك خالد وإخوانه في تربيتهم دينًا وخلقًا، وتحلّى الملك خالد بها في شبابه، فقد امتدّ الأثر في الجيل الذي بعده، فكانت أدبًا عامًا، ومحافظة مستمرة متواصلة في أسرة آل سعود.

---

(٤) ينظر في هذا ما جاء في كتاب أحمد الدعجاني عن الملك خالد، من صور له رحمه الله، وفي هذا تأسٍّ بوالده مع صغار أبنائه: حنوّ ورحمة، قدوة برسول الله ﷺ، في حنوّه على أولاد بناته، ويقول: "من لا يَرْحم لا يُرْحم".

كان الملك عبدالعزيز يرغب من أولاده أن يحضروا مجالسه، ليأخذوا عن أفواه الرجال، ما مرّ بهم من مواقف، وما جاء في تاريخ أسرة آل سعود، في الدورين الأولين، قبل عهد الملك عبدالعزيز، ثم ما مرّ بالملك عبدالعزيز (رحمه الله) في الدور الثالث، من مواقف في تأسيس الدولة، منها السلبي والإيجابي، ويقرن ذلك بشيء من السّير قبله، ومن صولات وجولات الأمم، ليقرن بعض الأحداث بالمثل القائل: (الرجال قد ينهزمون لكنهم لا ينذلون). وذلك فيه المثل العربي: (ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل) لأنّ من لم تمرّ به الهزيمة، لا يتذوّق طعم النصر، كل ذلك ليأخذوا عنه دروسًا قد تواجههم، وحتى يبني شخصيّة كل فرد منهم، عندما يتسلم المسؤولية، وكيفية معالجة الأمور، وما يمرّ بهم من أحداث، قد استفادوا من كيفية معالجة والدهم لها.

وكل أمر يأخذونه عنه، أو من المواقف التي يجري عنها الحديث في مجالسه، في سِيَرِ وقائع ما مرّ بهم، والعلاج الذي استعملوه في أيّ موقف، فهو درس مقرون بشواهده، تلتقطه آذان صاغية لتعتبر وتستفيد.

ولأن الملك خالدًا كان أحد كبار أبناء عبدالعزيز (رحمه الله)، فقد حرص والده الملك أن يدربه على أمور كثيرة منذ نشأته، ويصطحبه في المغازي والأسفار.

ففي عام ١٣٤٣هـ، كان الشقيقان محمد وخالد ابنا الملك عبدالعزيز، قد جعلهما والدهما ضمن الرحلة الملكية من

الرياض إلى مكة، على ظهور المطيّ عبر الصحراء، التي دوّنها بقلمه يوسف ياسين، ونشرها تباعًا في صحيفة أم القرى(٥)، وقد ظهرت في كتاب نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولم يذكر فيه تاريخ الطبع ويقع في (١٧٢) صفحة، وقد صُدّر بصورة الملك عبدالعزيز، والملك فهد (رحمهما الله)، وسمي الكتاب: الرحلة الملكية(٦).

وقد حدّد يوسف ياسين أن هذه الرحلة كانت على ظهور الجمال، ولم تكن بالسيارات، وكذا حدّد المسافات من الرياض إلى مكة بالساعات: من الرياض إلى الدرعية، ومن الدرعية إلى الجبيلة، وهلّم جرّا، إذ آخرها من السّيل، الذي هو ميقات أهل نجد، إلى مكة (٨) ساعات.

وختم هذه المسافات بقوله: فتصبح المسافة من الرياض إلى مكة المكرمة مئة وخمسًا وستين ساعة، وربما تكثر وتقل، بحسب درجة السير والمهل، ولكن سيرنا كان سريعًا، وقد كان نشرها في جريدة أم القرى في (١٣) حلقة(٧).

ولابد أن الملك خالدًا، وقر في سمعه حديث والده، قبل بدء الرحلة، بعدما اجتمع العلماء والأعيان في الرياض لوداع

---

(٥) يوسف ياسين، الرحلة الملكية، جريدة أم القرى ، بدءًا من العدد الأول (الجمعة ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ)؛ كتاب الرحلة الملكية، وزارة المعارف.

(٦) قد ذكر في المعية سمو الأميرين محمد بن عبدالعزيز، وشقيقه سمو الأمير خالد (الملك)، ينظر ص ٥١ من هذه الرحلة.

(٧) يوسف ياسين، الرحلة الملكية، إعداد ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مصدر سابق، ص٩٤، ٩٥.

جلالته، حيث وعى منه تصريحه، الذي يمثل منهجه وسياسته، قائلاً:

"إنني مسافر إلى مكة، لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم، التي أرهقت كاهل عباد الله، إنني مسافر إلى مهبط الوحي، لنبسط أحكام الشريعة، ونؤيد أحكامها، فبعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطأ للشريعة.

إن الحجاز سيكون مفتوحًا لكل من يريد عمل الخير، للأفراد والجماعات، وعُلّق على هذا الكلام: ومن هذا التصريح تبين الغاية من هذه الرحلة السلطانية المباركة"(٨).

وفي عام ١٣٤٥هـ، كان الأمير الشاب خالد مع شقيقه محمد وإخوتهما الكبار، في معية والدهم الملك عبدالعزيز في المدينة، بعدما استسلم أهلها وبترحاب لسمو الأمير محمد بن عبدالعزيز، وجاءها الملك عبدالعزيز مع إخوانه وأبنائه، وبايعه أهل المدينة بالسمع والطاعة، وأزال عنهم ما مسّهم من الضر، نتيجة الحصار، ثم واصل الركب بسياراتهم بدءًا من الساعة الخامسة من نهار يوم الجمعة ٤ رجب ١٣٤٥هـ إلى الرياض(٩)، وكان سمو الأمير خالد، مع والده في صباح ذلك اليوم عندما خرج من المنزل إلى الحرم النبوي الشريف، ودخل الحرم وصلى ركعتين - تحية المسجد في

---

(٨) يوسف ياسين، الرحلة الملكية، جريدة أم القرى؛ وزارة المعارف، ص ١٨-٢٣، الحلقتان (١)، (٢).

(٩) عبدالمحسن بن صالح اليوسف، سلطان نجد والحجاز في صحافة عصره، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٨٥.

الروضة المطهّرة - ودخل الحجرة المشرّفة للسلام على رسول الله ﷺ، حيث كان الانطلاق للسفر(١٠).

ولا شك أن الملك خالدًا - الأمير الشاب - تأثر بوالده في هذه الرحلة وغيرها، بكثرة تلاوته للقرآن وصلاته وتهجده وتوجيهاته الحسنة، ومسيرته طوال الطريق، يتفقد الرّعية، ويقف لمن يمر بهم رجالاً، ونساء، يحيونه ويحادثهم، ويمدّهم بما يريح نفوسهم، ويسدّ خللاً في معيشتهم، كما هي عادته في برّه وتلمسّ حاجات الرعية.

وجاء في موضع آخر: كان أمير قطر سمو الشيخ: عبدالله بن قاسم بن ثاني ضيفًا كريمًا في الرياض عام ١٣٥٢هـ، وحظي بحفاوة وإكرام، مع استقبال حافل، من الأمراء أبناء الملك عبدالعزيز، وعلى شرف الضيف الكبير أقام صاحب السمو الأمير خالد ضيافة في بيته بالرياض تليق بمكانته(١١).

كان الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في زيارة رسمية لمصر، وبمعيته مجموعة من الأمراء، منهم سمو الأمير خالد، وكان من حديث سموه الذي نقله عنه أحد الصحفيين المصريين الذي أوردته مجلة "الإثنين" المصرية، العدد (٦٠٦): زرت أمريكا وزرت إنجلترا، ولكنني لا أجامل المصريين، إذا قلت: إن مصر في نظري أحسن بلاد الأرض(١٢).

---

(١٠) المصدر السابق.

(١١) المصدر نفسه، ص١٨٥، وفيه توسع عن هذه المكرمة.

(١٢) جريدة الإثنين المصرية، العدد (٦٠٦)، (٢١ يناير ١٩٤٦م، الموافق لعام ١٣٦٦هـ)، مع الحديث الطويل، وما جاء فيه من أمور تدل على قدرة سمو الأمير خالد -الملك- مع أنه ما زال صغيرًا وقت الحديث.

وفي رحلة ثالثة في عام ١٣٤٦هـ، كانت من مكة إلى الرياض، وكانت بالسيارات، كان الأمير خالد مصاحبًا والده، واستغرقت الرحلة خمسة أيام، ونشرت في العددين (١٥٣، ١٥٤) من جريدة أم القرى، لكن الجريدة لم تُشِر إلى كاتب الرحلة، وكان عمر سموه (١٥) عامًا تقريبًا، مما يؤكد اهتمام الملك عبدالعزيز، باصطحاب أبنائه معه في أسفاره وغزواته، حتى يأخذوا عنه منهجه وطباعه، لتتمكن في قلوبهم منذ تفتحهم على الدنيا، وكل خطوة مع الرجل العظيم، تزيدهم علمًا وترسّخ في الأمير خالد علمًا، ويتأثر بالطبائع التي تؤهله للمكانة المهيأ لها، وما ذكر عن مرافقته لوالده، فهو نموذج ومثال، وإلاّ فإنّه مصاحب له في حله وترحاله في تنقلاته، وفي حضور مجالسه، حيث يستقي كل يوم درسًا جديدًا في التربية وحسن التعامل، فهو معه في كثير من الوقائع الحربية، ومصاحب له في أسفاره، ثم في رحلاته للصيد والقنص.

كما نقلت جريدة أخبار اليوم تصريحًا ينبئ عن حنكة سمو الأمير خالد بن عبدالعزيز، وقدرته الدبلوماسية، وفق قوله لمندوبها: ثِقْ أن أهل نجد والحجاز، ما كانوا ليرضوا أن يغادر جلالة الوالد البلاد لو لم تكن هذه الزيارة لمصر، فإنّ (للفاروق الموفّق) - كما سماه جلالة الوالد - مكانته، في قلب كلّ نجدي، وفي قلب كل حجازي، فإنّ اجتماع رضوى فتح القلوب كلها(١٣).

---

(١٣) أخبار اليوم، العدد ٦٤، (٢٦ يناير ١٩٤٦م، الموافق ٢٣ صفر ١٣٦٥هـ)، مع الحديث المطول.

ومع الأيام ازدادت وجاهة الأمير خالد في السياسة، وما يتبعها من (بروتوكولات)، إذ كان في يوم الأحد ١٣٧٢/٥/٢٣هـ، مندوب الملك عبدالعزيز في استقبال الرئيس كميل شمعون، رئيس الجمهورية اللبنانية، كما جاء في جريدة أم القرى، فقد غادر موكب صاحب السمو الملكي الأمير خالد نجل جلالة الملك القصر الملكي، قاصدًا إلى المطار مندوبًا عن جلالة الملك في استقبال الرئيس كميل شمعون، رئيس الجمهورية اللبنانية، وعند وصول سموه إلى المطار، أدّتْ كتيبة حرس الشرف تحيّتها لسموه.. ثم أفاض الخبر في التشريفات وترتيب المراسم ودور سموه، وتقديمه للضيف عند الاستقبال أصحاب السمو الأمراء والمسؤولين، ثم اصطحب الضيف إلى القصر الخاص، المعدّ لاستقبال فخامة الرئيس وضيافته(١٤).

كما كان لسمو الأمير خالد دور مع زعماء الإسلام، على مائدة الملك عبدالعزيز الملكية في عام ١٣٥٨هـ، الذي تحدّثتْ عنه مجلة المصور المصرية(١٥).

وبعد عودة سمو الأميرين محمد وخالد من أمريكا وإنجلترا، مرّا بتونس، ونزلا ضيفين على جلالة محمد

---

(١٤) يراجع في هذا الاستقبال ودور سمو الأمير خالد، وما في المقابلة من مراسم، ومرافقة سموه للضيف: جريدة أم القرى، عدد الجمعة ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ، الموافق ١٢ فبراير ١٩٥٣م، بتوسع، حيث غطّت الأخبار دور سمو الأمير خالد.

(١٥) مجلة المصور المصرية، العدد ٧٤٦، (١٩٣٩/١/١٧م، الموافق عام ١٣٥٨هـ).

الأمين، باي تونس الجديد، ونقلت الخبر والحفاوة وتبادل الهدايا مجلة المصور المصرية(١٦).

وعن الذهب الأسود، نقلت مجلة المصور المصرية أيضًا عن زيارة سمو الأميرين: فيصل وخالد نجلي الملك عبدالعزيز، لأمريكا، وبرز التساؤل عن سرّ هذه الزيارة التي لم يخفف من حدّتها، إلا ما عُرفَ بعد وصول الأميرين إلى نيويورك، من رغبة الحكومة الأَمريكية في الاشتراك في تنمية أعمال التنقيب عن البترول، في المملكة العربية السعودية، اشتراكًا تعلّق عليه أمريكا أهمية كبرى، بدليل ما تناولته مجلة المصور، من اهتمام الرئيس روزفلت شخصيًا، وبالمفاوضات الدائرة مع سمو الأميرين، وقد توسعتْ المصور في هذا الموضوع، بأحاديث من سمو الأمير خالد، فقد أعطت مكانة سياسية واقتصادية للأمير خالد(١٧).

هذا في ميدان السياسة والتدريب على شؤون الدولة، وحرص الملك عبدالعزيز على تنمية القدرات في أبنائه، وما لدى سمو الأمير خالد من الاستعداد الفطري، وحب الإفادة من واقع الأمم الأخرى، في المقابلات، وتوسيع دائرة الأعمال لدى كثير من دول العالم، وقد هُيّئَ له من أسفار ومقابلات، واطّلاع على أعمال الدول التي زارها، وطريقتهم في تسيير

---

(١٦) مجلة المصور، العدد ١٠٠٦، (٢١ يناير ١٩٤٤م، الموافق ٢٥ محرم ١٣٦٣هـ)، وفيها أشياء عن تصريح للأمير خالد.

(١٧) مجلة المصور، العدد ٩٩٣، (الجمعة ٢٣ شوال ١٣٦٢هـ/ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٩٤٣م. بتوسّع.

الأمور، مما كوّن لديه حصيلة جيدة، مطبقًا مقولة الشافعي في فوائد السفر: حينما عبّر عنها بقوله:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد

ذلك أن مدرسة الحياة ومخالطة الرجال، والتّعرف إلى واقع الأمم، في تلك السن المبكرة، أعطت سمو الأمير خالد تنوعًا في المفهوم، وسعة في المعارف، وتشوّقًا إلى الرقيّ بالبلاد لمصاف تلك الأمم، عندما يتقلد أمرًا، دون التّخلي عن ثوابته الدينية والعقدية، وعاداته وموروثاته، التي كانت عنده أصلاً راسخًا منذ بدء النشاط.

وتأثر بما كُتِب وما رأى وسمع، عن سيرة والده الملك عبدالعزيز، الذي كان مثلاً أعلى لأبنائه كلّهم في صفاته الكثيرة، وقدرته على تصريف الأمور: بهمة الشباب، وحنكة الشيوخ، وطموحاته للمعالي، حيث روى الريحاني عن الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في كتابه ملوك العرب: أنه مكتوب فوق بابه، ما يدل على همته العالية:

لسنا وإن كرُمَتْ (أوائلنا)
يومًا على (الأنساب) نتّكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل (فوق) ما فعلوا

ولمّا ناقشه الريحاني في الدلالة التي قصدها الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بذلك مع أنه غيّر الكلمات المقوّسة في البيتين عما أراده الشاعر، ازداد قناعة بما هدف إليه الملك عبدالعزيز(١٨).

وهذا أيضًا من الدروس العملية الكثيرة التي رسخها الملك عبدالعزيز عند ولده الأمير خالد وإخوته (رحمهم الله) فهمًا، وطبقوه عملاً، في ترسمهم لسيرة والدهم، في سعيه لتوحيد البلاد، إذ إن في تغييره للكلمات المقوسة، عدة معان عميقة، انتهجها عملاً، وأخذها كل واحد منهم درسًا، أفادهم عند تقلّد الأمور.

ويأتي من أعمال سموه منذ النشأة تعلّم الرّماية وركوب الخيل، فقد حدثني مشيخة من شقراء عندما كنت أجمع معلومات لكتابي شقراء، منهم الأخوان: محمد وعبدالعزيز، ابنا عبدالله الطويل (رحمهما الله)، أنه في عام ١٣٤٧هـ، الذي يسمى عند الناس (سنة السبلة)، كان الشقيقان: سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز، وسمو الأمير خالد بن عبدالعزيز في شقراء، مع بعض الحاشية، وكانا يتعلّمان الرّماية بأسلحة متنوعة: تارة بالبندقية، وأخرى بالحجارة لرمي النيشان، وتارة بالمسدّس على شارة أمامهما.

والموقع الذي يتدرّبان فيه في شرق البلد قريب من باب الطلحة، وكانت رماية كل منهما جيدة مع الدقة في إصابة

---

(١٨) نجيب الريحاني، ملوك العرب، الطبعة الخامسة، نشر دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م، الجزء الثاني، ص٩٧-١٠٣، وفيها حوار مفيد مع جلالة الملك عبدالعزيز في هذا الشأن.

الهدف، على الرغم من أنهما ما زالا صغيرين، فسموّ الأمير خالد كان في حدود السادسة عشرة، ومن شاهدهما حكم بأن لديهما سابق معرفة بالرماية، والدقة في تصويب الأهداف.

وتتجلّى في سموه بعض الصفات التي بانت عليه في سن مبكرة:

١ - ما يتحلّى به من نبل وشهامة في التعامل، وتواضع في معاملته مع موظفيه، والاعتناء بهم مع التواضع، وسماع شكواهم، والسؤال عن أحوالهم الصّحية والمعيشية، وكثرة ذكر الله، وتخفيف العمل عنهم، وكثرة عبادته، وحبّه للصدقات والبرّ، ورقّة القلب.

٢ - يعدّ من الفرسان المبرزين؛ لاهتمامه بالفروسية وركوب الخيل واقتنائها، فهو يمتطي صهواتها في ساحات القتال، وخاض بها غمار الحروب بطلاً مقدامًا، وشارك مع والده منذ كان عمره في الثانية عشرة من عمره في معارك كثيرة، وكان لوالدته دور بارز في إذكاء هذا النوع في شخصيته، لما عُرف عنها من حبّ للفروسية، وتشجيع لممارستها، وحفظ لأيام العرب، وحماستهم في الحروب وشعرهم(١٩).

٣ - مفتاح شخصيته - منذ نشأته حتى اعتلى سدة الحكم - يكمن في الخوف من الله، مع كلّ من يتعامل معه، فهو

---

(١٩) الدعجاني، خالد بن عبدالعزيز سيرة ملك ونهضة مملكة، مصدر سابق، ص٥٦-٥٨.

واصل للرحم، يتواضع مع العاملين عنده، ويرأف بهم، بارًّا بكبار الأسرة، رجالاً ونساء، كثير العبادة والدعاء، يستشير أناسًا من رجال الأسرة عُرفوا بالحكمة والحنكة، ولو كانوا أصغر منه سنًا، ويأخذ بآرائهم إذا رأى فيها الحق، بارًا بوالده، عادلاً في التعامل مع أولاده، ومحاسبتهم على سلوكهم، وكان يتحلّى بأكرم الخصال مع من حوله، ويزرع فيهم الإيمان والتمسك بالدين وحب الوطن(٢٠).

٤ - وفي إفادته من حنكة والده (رحمهما الله) فإن الحرب العالمية الثانية، كان لها آثار عالمية شديدة الوطأة، وخاصة من الناحية الاقتصادية على المملكة، فأعلن بلاده دولة حيادية، تاركًا العروض المغرية جانبًا، وعبّر عن زيارة كبار الرسميين والعسكريين، بما حملوه من ودّ وحبّ واحترام، كما قال: (بيار ورفايل) في كتابه (صقر الصحراء)، بردّ تلك البادرة الطيبة بالمثل: فأوفد نجليه الأميرين فيصل وخالد إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، لزيارة روزفلت وتشرشل، حاملين لهما هدايا ثمينة، فأجريت لهما استقبالات رسمية وشعبية رائعة، كما أجرى الأميران مباحثات سياسية واقتصادية وثقافية هناك(٢١).

---

(٢٠) المصدر السابق، ص٦٢-٦٨.

(٢١) للتفصيل والإسهاب يراجع بيار ورفايل، صقر الصحراء، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، بيروت، لبنان، ص٣٩٨-٤٠٠.

٥ – وقبل أن يتسنّم ذروة الملك أجرت معه مجلة المجال، حديثًا مطولاً عن مصادر الدخل غير البترول، واستصلاح المناطق الصحراوية، والأراضي الساحلية، وتشجيع مساهمة رؤوس الأموال الخاصة، في المشروعات الإنمائية في المملكة، وعن سفر الطلاب للخارج لإكمال تحصيلهم العلمي العالي، وعن تعليم المرأة، ونحو ذلك من الأسئلة التي ذكرها أحمد الدعجاني في كتابه عن الملك خالد(٢٢)، حيث تبين من الإجابات مكانة سموه وقدراته، ونظرته بعدما أصبح ملكًا، وأن منهجه لم يتغيّر عما كان عليه قبل المُلْكِ وبعده.

وفي أول عام ١٣٥٣هـ، وكان عمر سموه (٢٢) سنة ترأس الأمير خالد الوفد السعودي الذي أجرى المفاوضات مع الوفد اليمني برئاسة السيد عبدالله الوزير، في مدينة الطائف، لوضع صيغة المعاهدة التي وقعها الطرفان فيما بعد، ثم صدّقها الملك عبدالعزيز، ثم أرسلت إلى الإمام يحيى ووافق عليها، واعتمدت من الحكومتين، وسميت (معاهدة الطائف)(٢٣).

ومن يقرأ هذه المعاهدة ونصوص موادّها، يدرك أن سمو الأمير خالد – الملك – في مستوى المسؤولية وبعد النظر،

---

(٢٢) أحمد الدعجاني، خالد بن عبدالعزيز سيرة ملك ونهضة مملكة، مصدر سابق، ص ٥٤٩–٥٥٦، وفيه إجابات سموّه.

(٢٣) ينظر كتابه هذا بالتفصيل: ج٦: ١١٣٨–١١٥٩، مع نص المعاهدة وملحقها بالتوقيع من الطرفين السعودي الأمير خالد، واليمني عبدالله الوزير.

فقد نجح فيها نجاحًا مباركًا، وقضى إبرامها على فتنة بين الدولتين مدة من الزمن، وكان مفتاح التفاهم، ما جاء في مؤتمر الطائف الذي ترأسه سمو الأمير خالد، وأدار جميع أدواره، بتوفيق من الله.

أما خير الدين الزركلي في كتابه (شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز) فإنه عند حديثه عن أبناء الملك عبدالعزيز، تحدّث عن صاحب الجلالة: الملك خالد، وممّا قاله: إنه ولد بالرياض عام ١٣٣١هـ، الموافق ١٩١٣م، وصحب أخاه فيصلاً، في بعض رحلاته الرسمية، إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الأخ الشقيق للأمير محمد، آثره محمد على نفسه بولاية العهد، ولما اغتيل الفقيد الكبير (فيصل) (تغمده الله برحمته) نودي بالأمير خالد ملكًا للمملكة العربية السعودية، وكان قبل ذلك قد انقطع مدّة لأعماله الزراعية التي يحبها كثيرًا(٢٤).

كما كان الملك خالد (رحمه الله) متفهمًا للقضية الفلسطينية، وفق آراء والده فيها، حتى إنه كان يأمر للفلسطينيين بمساعدات مالية من حسابه الخاص، وقد ذكر فهد المارك، في كتابه (من شيم الملك عبدالعزيز) شيئًا من ذلك، فقال: إن حماسته لقضية فلسطين، امتداد لأعمال والده الملك عبدالعزيز (رحمه الله)(٢٥).

---

(٢٤) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج٤: ص١٤٠٨، ١٤٠٩، الطبعة الثانية، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

(٢٥) فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ج٣، ص٤٣٩، ٤٤٠، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

هذه اللّفتات الموجزة، تعطي سمو الأمير خالد، دورًا مهمًا شارك والده فيه، وإخوانه الذين يكبرونه، في السياسة والأمور الداخلية، وبناء الدولة، كما تعبّر أحاديثه والمقابلات معه في كل صحيفة، عن مكانته وأعماله، ودوره الإيجابي الذي استقاه من تربية الملك عبدالعزيز، وبُعد نظره في الأمور المختلفة، التي تعود على الوطن والمواطن، بما فيه المصلحة، هدوءًا في الأمور، وحبًا في رفع مكانة المواطن، وتحسين وضعه، واهتمامًا بكل عمل يعود بالنّفع والمصلحة الطيبة للوطن.

وكل أعماله تنصهر في بوتقة أوامر شرع الله، وتستمد من تعاليم الإسلام وقيمه، فكان مهتمًا في نفسه، ومع أهل بيته وأولاده، ومع حاشيته والعاملين معه جميعًا، بأن يكونوا محافظين على شعائر الدين، حيث يؤكد في كل مناسبة، أن الدولة السعودية في ميادينها الثلاثة، شعارها حماية شرع الله، والمحافظة على حدود الدين الإسلامي.

هذا علاوة على اهتمامه بتوسيع الدائرة العلمية لأبناء البلاد، والتشجيع على التّعليم ذكورًا وإناثًا، وقد بان أثر هذا الاهتمام بعدما تولّى المُلك، فأتاح الفرص التعليمية المتعددة، وشجّع على الابتعاث، وأعطى للتعليم بأنواعه قفزة عظيمة، بزيادة ميزانية قطاع التعليم بأنواعه، وتهيئة الفرص المعينة على التوسع فيه كمًا وكيفًا.

أما تعليمه هو فقد تلقّى مبادئ القراءة والكتابة في بعض الكتاتيب في مدينة الرياض، ولذكائه فقد أكمل القرآن نظرًا،

مع حفظ بعض السور، والسيَّر التاريخية عن ظهر قلب، فكان قارئًا كاتبًا مؤرخًا، وقد منحه الله ذاكرة قوية وذكاء فطريًا.

وكان كثيرًا ما يؤم حاشيته في رحلات القنص ورحلات الربيع التي يحبها، ويقرأ فيها عن ظهر قلب، ممّا حفظه في شبابه.

أما الأمور الدينية: كالصلاة والزكاة، والصيام والحج، وما يتعلّق بالعقيدة، فإن قدرته فيها جيدة جدًا، أخذ ذلك في البداية في صغره، عن مدرّس الكتاتيب، ثم عن والده والأسرة، وبعدما نما عوده كانت زيارته للمشايخ وطلبة العلم كثيرة، فكان يسأل ويقرأ.. كما كان لوالدته الجوهرة دور في التأسيس العلمي، وما تلقّى أو ألقي عليه، فإن ذاكرته التي منحه الله، تستوعب ذلك، بل ينبّه ما حوله من أولاد وأحفاد وأسباط وحاشية إلى الأحكام التي تهمّهم في عباداتهم وعقائدهم، ويتابعهم فيها حتى ترسخ عندهم.

فكان قبل توليه وفي نشأته كلّها، كالمعلّم لمن حوله على طريقة والده (رحمه الله)، في التعليم والتوجيه، حتى اتسع ميدان التعليم، فأخذ منه كل فرد من الرّعية بقسط وافر، وقد حرص على توسيع الميدان العلمي، لإدراكه دور العلم في رقيّ الأمم وبنائها.

تولى ولاية العهد في عام ١٣٨٤هـ، الموافق لعام ١٩٦٥م، إذ لمّا بويع الملك فيصل ملكًا على المملكة العربية السعودية، اختار أخاه خالدًا نائبًا لرئيس مجلس الوزراء، كما أصبح سمو الأمير فهد بن عبدالعزيز نائبًا ثانيًا لرئيس مجلس

الوزراء، وفي شهر ذي القعدة من العام نفسه تمّ اختيار الأمير خالد وليًا للعهد.. بعدما تنازل أخوه محمد عن حقّه في الأقدمية لشقيقه الأمير خالد بن عبدالعزيز، وقد كان الملك فيصل يراه أهلاً لذلك، وقد ذكر الدعجاني في كتابه أنه يتمتع بجانب من الحكمة والروية والأناة، كما أن الملك فيصلاً (رحمه الله) رآه قادرًا على توحيد العائلة وإعادة اللّحمة بين أفرادها.

ويقول أحمد الدعجاني في كتابه عن الملك خالد: إنه قد دارت مكاتبات بين الملك فيصل، وسمو الأمير محمد بن عبدالعزيز، يستشيره في أمر ولاية العهد، فأجابه سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز، بتأكيد ترشيحه لأخيه الشقيق الأصغر منه خالد بن عبدالعزيز، كي يصبح وليًا للعهد. وأورد الرسائل المتبادلة، وفي النهاية قبل الأمير خالد أن يكون وليًا للعهد بتأييد العائلة المالكة، وإلحاح الملك فيصل.

وقد تناولت هذا الجريدة الرسمية (أم القرى) بشيء من التفصيل، كما أعلنت وثيقة تاريخية، نشرتها الجريدة الرّسمية (أم القرى) ابتهاجًا بحسم الأمر، في ولاية العهد، جاء فيها:

دعا حضرة صاحب السموّ الملكي الأمير محمد بن عبدالعزيز، إلى اجتماع يضم أسرة آل سعود، يعقد في قصر سموه بعليشة بالرياض، يوم الإثنين الواقع في ٢٧ ذي القعدة ١٣٨٤هـ، الموافق ٢٩ مارس عام ١٩٦٥م.

وقد استهل سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز الاجتماع بكلمة قيّمة، أورد فيها الهدف الذي يرمي إليه من وراء هذا الاجتماع، وهو النظر في أمر ولاية العهد، والبتّ فيه لاعتقاده بأنه ضرورة حتميّة، يقتضيها استمرار الحكم، وإرساؤه على أسس ثابتة الأركان، قويّة الدعائم، بعد أن تمتّعتِ البلاد بنعمة الاستقرار، وسارت بخطوات واسعة نحو التقدم والازدهار.

وقد أشاد سموّه بالجهود الجبارة التي بذلها، ويبذلها صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم، في رفع شأن الإسلام، وخدمة هذا البلد، والسياسة الرشيدة، التي ينتهجها لمصلحته.

ودعا سموه إخوانه المجتمعين للالتفاف حول الملك المفدّى وشدّ أزره ومساعدته على تنفيذ برامجه الإصلاحية الرامية للسير بالبلاد نحو القمة وذرى العزّة والكرامة.

وقد أوضح سموه موقفه من ولاية العهد، فقال: بأنّه أرسل لجلالة أخيه الملك فيصل المعظّم كتابًا، جوابًا على كتابه، بأنه يؤثر الابتعاد عن المناصب والألقاب، وأنّه يفضل العمل في الميادين الأخرى، التي قد تكون أكبر نفعًا وفائدة، وأنّه جنديّ يعمل بكلّ إخلاص تحت قيادة جلالته، وبوحي من إرشاداته.

ثم وجه كلامه إلى إخوانه قائلاً: نحن جميعًا خدّام لهذا الشعب النبيل، الذي التفّ حول قيادته في أحلك الظروف، التي مرّت بها البلاد وأدقها؛ فمن واجبنا أن نكرّس جميع جهودنا، وطاقاتنا لخدمته، وخدمة الشعب لا تعني التربع

على كرسي الحكم، فهناك مجالات واسعة لتحقيق هذا الهدف، هي في نظري أكبر نفعًا، وأجدى فائدة، وقد عاهد الله بأنّه سيتعاون تعاونًا صادقًا، مع من يختاره جلالة الملك وليًا للعهد.

ومن ثم تُلِيَتْ الكتب المتبادلة بين جلالة الملك فيصل، وأخيه سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز، وبعدها تُلِيَتْ رسالة من جلالة الملك فيصل، موجهة إلى المجتمعين، تتضمّن اختياره صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبدالعزيز، وليًا للعهد، فبايعه الحاضرون فردًا فردًا.

وتقدّم سمو الأمير خالد، فألقى كلمةً شكر فيها جلالة الملك المعظم، على الثّقة الغالية، التي أولاه إيّاها، كما شكر إخوانه الذين بايعوه، وسأل المولى سبحانه وتعالى، أن يكون عند حسن ظن الجميع، وثقتهم به، وتوجه إلى إخوانه ورجال الأسرة، وعلى رأسهم سمو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، وشقيقه الأمير محمد بن عبدالعزيز بنداء يطلب منهم فيه أن يعينوه على حمل الرسالة، وأداء الأمانة، مستمدًا من الله العون والتوفيق.

وفيما يلي نصّ الأمر الملكي الذي صدر عن الملك فيصل، بإعلان الأمير خالد وليًا للعهد.

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، إلى إخواني أبناء الشعب العربي السعودي الكريم:

تحية وبعد:

فإنني أحمد الله على نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، هذا ونظرًا لأنّ ولاية العهد هي عنصر أساسيّ من عناصر استمرار الحكم ورسوخه، وبعد أن تمتعت البلاد بنعمة الاستقرار وسارت في طريق التّقدم والازدهار، بفضل تمسّكها بدينها الحنيف، وشريعتها السّمحاء.

فإنه ليسرني أن أعلن لإخواني أبناء الشعب السعودي الكريم، بأنّني قد اخترت أخي الأمير خالد بن عبدالعزيز، وليًا للعهد.. يحكم من بعدي بكتاب الله وسنة رسوله، وكلّي ثقة، بأن الشعب سيكون له خير ناصر ومعين.

والله ولي التوفيق

٢٧ ذي القعدة ١٣٨٤هـ - ٢٩ مارس ١٩٦٥م(٢٦)

---

(٢٦) في هذا تنظر جريدة أم القرى الرّسمية، العدد (٢٠٦٥)، السنة ٤٢ ليوم الجمعة غرة ذي الحجة ١٣٨٤هـ، منير العجلاني، تاريخ مملكة في سيرة زعيم: فيصل ملك المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٨م، ص٢٢٠ وما بعدها؛ أحمد الدعجاني، خالد بن عبدالعزيز سيرة ملك ونهضة مملكة، ص١٠٢-١٠٩، وفيه نص الرسائل المتبادلة بين الملك فيصل وأخيه محمد بن عبدالعزيز.

وقد تجلّى في هذا الموقف حنكة الملك فيصل وتسامح الأمير محمد بن عبدالعزيز، وإيجابية الأمير خالد، وتساند الأسرة في التعاون وتجنب الخلافات رأفة بالشعب المتفاني مع قيادته، محبّة وتعاونًا.

وقد برزت الآثار الحميدة، من حسن إدارة الملك خالد بعد ذلك للدولة، وحققت الأعمال في مدته ازدهارًا حسنًا، مع سيرته الطيّبة، ومحبته لأبناء شعبه ومن ثم خدمتهم في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ورغبة في عدم الإكثار، من النقولات عن مصدر واحد، وهو ما ألّفه الأستاذ: أحمد الدعجاني عن الملك خالد، لأنه قد يكون لدى كثير من القراء، والباحثين، وأتيح للأستاذ أحمد، في تأليفه ما لم يتح لغيره، وخاصّة ما يتعلّق ببعض المواقف التي لم ترصد في المصادر، وأخذها مشافهة عمن لازم سمو الأمير خالد (الملك).

لذا فقد بدا لي أن أثبت حكايتين فقط، مما أورد في ختام هذا البحث، تبرز منهما شهامة سمو الأمير خالد بن عبدالعزيز (الملك)، ونخوته وشجاعته وعطفه على الرعية، في وقت مبكر، لأنه تتلمذ على والده - الملك عبدالعزيز (رحمه الله) - وتأصلت عنده أعماله واهتماماته برعيته والمحتاجين.

الأولى:

وقد اشتهرت رحلاته للقنص بكثير من الطرف، بل والحكايات الممتعة، فقد روى بعضُ مَنْ كان في صُحبته عن أمور غاية في الروعة، وأحداث هي من قبيل النوادر الممتعة؛ فسمّو الأمير خالد - الملك - في مقناصه إنسانٌ بسيط، يتصرفُ مهتديًا بكل مزايا الإنسانية الملتزمة، وهو في ذلك شديد الحفاظ على سعادة كل من يصاحبه، وأشدُ حِرصًا على تحقيق الخير لكلّ من كانوا يأتون إلى مُخيّمه.

وفي لقاء مسجل مع محيسن البقمي في منزله بجدة، في يوم الثلاثاء ١٤١٥/٤/٢٩هـ، الموافق ١٩٩٤/١٠/٤م، وهو من خاصة الملك خالد، ومن الرجال الملازمين له طيلة أكثر من ستين عامًا، حكى عنه في رحلات قنصه حكايات هي إلى الخيال أقرب، ولكنها حقائق واقعة، وذلك عندما كان أميرًا.

قال: (ذات مرة عندما كان سمو الأمير خالد في المقناص كان اتجاهنا للقنص في شمال المملكة، وكعادة الأمير خالد (رحمه الله) أنه كثير السؤال عن الحيا(٢٧)، كثير الاستفسار عن أحوال الناس ومعاشهم، ممّا ينمُّ عن رغبة طيبة منه في تفقُّد أحوال الرعية، في مختلف بقاع المملكة، كما كان دائب السؤال عن الصيد، وكانت رحلاتُه للمقناص رحلات استكشاف للأحوال الاجتماعية، وللظروف الإنسانية التي يعيشُها أهالي المملكة خارج مدنها، فهي رحلاتُ صيدٍ وعملٍ وحُكمٍ.

---

(٢٧) الحيا: غير مهموز يعني (المطر) في لهجة نجد.

امتدّ بنا المسيرُ حتى الأطراف الشمالية للمملكة، وعلى حين فجأة لاح من بعيد، منزل وحيد منعزل عن الحياة والناس، وهو خيمة عتيقة بالية، كلّ ما حولها خلاءٍ وصحراء، وكان منظرُ هذا البيت الصغير الوحيد يوحي فعلاً بالتساؤل: من هذا الذي يسكنُ منعزلاً عن الناس ؟ من هذا الذي يعيشُ في هذا الخلاء القاحل ؟

طلب الأمير خالد أن نتوقف للسؤال عن صاحب هذا البيت، لنعرف السر، ولعلنا نجدُ عنده معرفة عن أحوال الصيد في هذه المنطقة، علّنا بذلك نقف على سرّ انعزاله عن الناس.

ونزولاً على رغبة سمو الأمير وإرادته تقدّمْتُ نحو المنزل، وناديتُ بأعلى صوتي، حتى يؤذن لي: يا صاحب البيت، يا صاحب البيت، ولكن لا مجيب، عند ذلك لاحظ الأمير خالد أن في الأمر شيئًا، فأمرني أن أتوقف في مكاني ولا أبرحه، وجاء سموه يركض بأقصى سرعته، حتى وصل إلى مكاني وقال: توقّف يا محيسن، فإن صاحب هذا المنزل إما ميت أو مريض، أو به شيء، وكان يريد بذلك أن يكون هو المسؤول عن دخول البيت، إبعادًا لي عن المسؤولية، التي يمكن أن تحدث، وحمايةً لي من تبعاتها، واستأنف الأمير خالد النداء بأعلى صوته: يا صاحب البيت، يا صاحب البيت، يا صاحب البيت، ولكن دون جدوى.

استمر الأمير خالد يسير تجاه المنزل ببطء حتى وصل إلى مدخل المنزل، وأمسك بيده طنب الخيمة، وإذا به يتوقف في

مكانه، وقد أذهله ما رأى، وأفزعه ما شاهد، حتى أدركْتُ أن في الأمر شيئًا خطيرًا، وناداني بهدوء: تعال يا محيسن، وتقدّمت فإذا المنظر المخيف، وشيءٌ موجع للقلب، لم أكن أتصور أن الإنسان يمكن أن يكون بهذا الشكل المخيف، حين ينزع الله عنه ثوبَ العافية.

لقد رأيت هيكلاً عظميًا، أكثر ما فيه جمجمته العارية أو شبه العارية من اللحم، لا يقوى حتى على الكلام.

يا للإنسان حين يكونُ قويًا، كم يكون مغرورًا ؟! وكم يتباهى بصحته وقوته ؟! وما أضعف الإنسان حين تنزل به نوازلُ المرض ؟! إنه منظرٌ كفيل بالعبرة والموعظة.

رجل وحيد مريض، اشتدّ عليه المرض حتى إنه لا يقوى على الكلام، وكأن عظامه لم تُكس لحمًا من قبل، سأله الأمير خالد: هل أنت مريض؟.

قال: نعم.

قال له الأمير خالد بقلب يقطر ألمًا، ووجه يشعُ تأثرًا وأسفًا، وروح تتدفق عطفًا وحُنُوّا ورفقًا: من متى أنت مريض؟.

قال الرجل: من سنة.

قال الأمير خالد وهو يتوجّع من ألم ما يرى في هذا الرجل: هل لك عيال؟.

قال المريض بصوت ضعيف متقطع: ولد واحد.

قال له الأمير خالد: ألك زوجة؟.

قال: زوجتي وولدي الوحيد عند الإبل والغنم.

وتخطر في نفس الأمير خالد مقولة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتفقد أحوال رعيته: (والله لو عثرت بغلةٌ بالعراق لخشيت أن يسألني الله عنها). قال خالد بمسؤولية الحاكم الرفيق برعيّته: إذا رزقك الله بفاعل خير يرسلك للكويت للعلاج، تقدر تروح ؟ (كان ذلك قبل أن يكون في المملكة مراكز طبية متقدمة).

قال الرجل، وكأن العافية دبّت فيه لمجرّد أن سمع كلمة العلاج: نعم، الشيء اللي يجيني منه عافية أبيه (أي أريده).

فأمرني الملك خالد أن أقتفي أثر ابنه وآتيه به، فذهبت وعلى مسافة غير طويلة وجدت الولد وأمه مع الإبل.

فقلت للولد: إنني خوي خالد بن عبدالعزيز، أرسلني لك، وما يأمرك به خالد أطعه، فهو سيتولى أمر علاج والدك.

فقال الولد: وأُمي وين تروح والإبل؟.

فقلت له: سيدبّرها خالد.

ويتابع محيسن في رواية هذا الحدث فيقول: وأتيت بالولد لخالد، وسأله: هل حولكم أحد؟.

فقال: نعم حولنا عرب.

فأرسلني الأمير خالد معه لهؤلاء العرب، لأُحضِرَ اثنين منهم، والأمير خالد لا يزال جالسًا مع الرجل المريض، لم يشرب القهوة ولم يسترح، ولكن خالدًا لم يعبأ بذلك.

وذهبت للعرب وأخبرتهم بأن الأمير خالدًا يريد اثنين منهم لأمر مهم، فحضر اثنان معي، وقال لهم خالد: أريد منكم أن تكفونّي هذه المرأة وإبلها وغنمها، وتحفظوها لي، وأُعطيكم الذي تريدونه.

فقالوا: والله ما نأخذ شيئًا، وسنحفظها ونحرص عليها، وهي في بيتها، ونرعى إبلها وغنمها - وأنت جزاك الله خيرًا - ثق بنا يا ابن عبدالعزيز.

وذهب الولد لإبل أبيه وأحضر منها ذلولاً طيبًا، ووضع في كيس رملاً، وفي الآخر وضع أباه، وكتب له خالد خطابًا لابن نفيسة - قنصل المملكة في الكويت - لعلاجه على حساب خالد.

هذه واحدةٌ.. من مواقفه الإنسانية الكثيرة (رحمه الله) في الشمال. وفي الجنوب واحدة مثلُها:

الثانية:

في إحدى رحلاته للقنص في الرُبع الخالي شاهد عن بُعد امرأةً تركض في الخلاء، تجري على غير وعي أو اهتداء، فتساءل الأمير: من هذه التي تجري في هذا المكان الذي تخافه الوحوش، وتنفر منه الضّواري ؟ لا بد أن بها مصيبة ما، تفوق هول الربع الخالي.

أمر الأمير خالد السائق أن يتوقف وناداها عن بُعد: يا امرأة، ما بك ؟ إنّكِ تضربين التهلكة، ما الذي رمى بك في هذه الأماكن الموحشة الخالية ؟ قالت: أبحث عن إبلي.

امرأة في شبابها وقوتها، تجري على غير هدى في الصحراء الدهماء، بحثًا عن إبلها، وتدور في رأس خالد أفكار وخواطر الخوف على هذه المرأة، التي يمكن أن تكون مطمعًا لأصحاب الشّر، في هذه الأماكن القاحلة، فلو كانت عجوزًا ما طمع فيها أحد، ولو كانت طفلة لوجدت من يعطف عليها، لكن الأمر معها يختلف.

يقول لها سمو الأمير خالد: الذي يخاف على كلّ الرعية ويحميها، وقد جزع عليها، وخاف أن يمسّها سوء، أو يتآمر بها أهل شر: ما رأيك لو أتاك فاعلُ خير، وأعطاك مالاً تستأجرين من تثقين به للبحث عن إبلك؟ وتتوقف المرأة لتأخذ أنفاسها، فقد كادت تفارق الحياة تعبًا من الجري، لقد عادت إليها الحياة، ووافقت على عرض خالد دون أن تعرفه، وكان لها ما تريد.

ألا يذكّرك قارئي، كلّ هذا بعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عندما رعى سموه امرأة شابة وحدها في الصحراء، تلهث من التعب في بحثها عن إبلها، فساعدها وأمّن علاج رجل يكاد الموت يعتصره؟

ألا يذكرنا هذا بالخلفاء العظماء الذين كانوا يتخفون ويتنكرون ليلاً، ليتفقدوا أحوال الرعية، حتى إذا انعقد ديوان الخليفة، اقتص من الظالم، ونَصَرَ المظلوم؟

إنه الإسلام؛ دين الله ومنهج البشر الذي حرص عليه الحكّام من آل سعود، منذ الدور الأول الذي قام به الإمام محمد بن سعود، وإلى الآن، المستمد من تعاليم الإسلام:

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾(٢٨)، **﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾**(٢٩).

وإلا فإن في كتاب الدعجاني مواقف من سموه مماثلة كثيرة(٣٠).

---

(٢٨) سورة الزمر، الآية ٢٢.

(٢٩) سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

(٣٠) أحمد الدعجاني، خالد بن عبدالعزيز سيرة ملك ونهضة مملكة، مصدر سابق، ص٧٣-٧٩.